### ٢- منهج الإكراه

ويكون في موضعين مختلفين، موضع يخص التربية إذ يرى ابن رشد أن الإكراه سنة الأولين والمتقدمين، وهي من مسلمات تدبير المنزل، فالصبيان يؤدبون داخل نظام البيوتات بالإكراه في حالة عدم جدوى الموعظة والخطابة. ومن ناحية أخرى أنه في حالة وجود بعض النوابت في المدينة الفاضلة لابد أن تلجأ السلطة الحاكمة إلى منهج الإكراه لردعهم وإعادة إدماجهم من جديد في نظام المدينة: "أما الطريق الثاني فهو السبيل التي تسلك مع المتمردين والأعداء ومن لا يتحلى بما يجب له من الفضائل، وهي سبيل الإكراه والعقاب بالضرب(١)".

### ٣- منهج التكرار والمحاكاة

إن بعض الملكات لا يمكن أن تُكتسب إلا من خلال تكرارها في فترات إما متقاربة أو متباعدة، لأن العادة ترسخ الملكات وتسهل عملية التعلم، لكنها طريقة تنفع، لم يستطيعوا أن يتخطوا مرحلة الأنا الميتافزيائي، أي الأحداث المؤهلون حسب معدنهم النحاسي أو الحديدي لتعلم الحرف التي لا يمكن أن تحصل إلا بالتكرار والآلية.

أما المحاكاة فأسلوب يخص الصبيان وهو منهج شديد الخطورة، ينبغي على المربي والفيلسوف أن يضع له شروطا، لأن المحاكاة كثيرا ما تكون من مضادات التربية الفاضلة أصلا.

## المبحث الثالث

## البرنامج التربوي الرشدي..المراحل والكيفيات

إن التربية في المشروع الرشدي لا تختلف من حيث المراحل عن أفلاطون وإن كان هناك اختلاف في التقديم والتأخير، لكن يبقى العامل المشترك بينهما أن التربية تبدأ مع الأطفال باعتبارهم هم من تتحقق بوجودهم المدينة المرتقبة.

---

(١) ابن رشد، الضروري في السياسة، ص ٨٠.

وتقسم مراحل التربية عند ابن رشد على حسب العمر الجسدي والعقلي، لأن كل عمر إلا وله خصوصيات تراعي فيها مدارك المتلقي من حيث القابلية والقدرة. لأن التربية الفاشلة هي التي تعتمد على حرق المراحل وتكثيف المواد.

ومراحل التربية عند ابن رشد يمكن أن نعرضها وفق الترتيب والتسمية التالية:

## ١- مرحلة الصبا [ مرحلة تداخل الأنا الجسماني والنفساني ]

وعليه فإن أول مرحلة من مراحل التربية هي التي يتداخل فيها الأنا الجسماني مع الأنا النفساني، وتتطلب هذه المرحلة نوعين من التربية فقط، ذكرهما أفلاطون بالتفصيل ويوافقه ابن رشد على ضرورتهما وأهميتهم الخاصة في إعداد حافظ المدينة وحارسها، وتتدرج وفق الترتيب التالي:

### ١-١- التربية الموسيقية.

يمر الطفل بعدة مراحل في نموه، فبعد مرحلة التّمايز التي يقدر أن يميز بين جسمه والموجودات الأخرى التي تحيط به يرتقي إلى مرحلة الشعور بأناه النفساني، عندها يكون قادرا على إدراك كثير من الأشياء وخاصة المدركات الصوتية والبصرية، والمربي الفاضل يستغل هذه المرحلة المبكرة من عمر الطفل للتربية. وهنا يرى كل من أفلاطون وابن رشد أن البدء بالموسيقى أنفع لما للموسيقى من فوائد في تهذيب النفس: "والموسيقى لتهذيب النفس وتحصيل الفضائل. وهذا التهذيب أسبق في الزّمان، أعني التهذيب بالموسيقى، لأن قوة الفهم أسبق من قوة ترويض الجسم"(١). والتعليم بالموسيقى مفيد لكون حمولته هي جملة الأقاويل المحكية التي تسعى إلى غرس قيم الخير والجمال في نفوس الأطفال. ولأن اللحن له أثر في دفع النفس والمتخيّلة إلى حفظ وسماع الأقاويل، ولو كانت الأقاويل من دون لحن لكان تأثيرها ضعيف والإقبال عليها

---

(١) الضروري في السياسة، ص ٨٦.

عصيّ. ولكن لما الموسيقى بالذات؟؟ إن الموسيقى مقترنة بالشعر فهي خادمة له وعن أغراضه معبرة، وبما أن أول طريقة من طرق التربية هي الإقناع بالخطابة والأقاويل الشعرية تصبح الموسيقى هي أول ما يُربى به الصبي لقربها من ميولهم وأنفسهم، ولكن الأقاويل الشعرية تخص في عملية التربية الصبيان فقط: "والأقاويل الشعرية أخص بالصبيان، فإذا كبروا وكان منهم من يصلح لأن يرتقي إلى مرتبة أعلى من التعليم فُعل لهم ذلك"(١).

إن التأكيد على التربية الموسيقية يعد في كثير من المواطن عملا غير نبيل ومنحط خاصة عند أفلاطون، لذلك فإن الغاية منه ليس اللحن وإنما اللحن والكلام معا.ومنه يجب أن يكون النظر في موضوع الموسيقى في: اللحن، الكلام، الإيقاع.

**أولا**: اللحن ينبغي أن يكون اللحن خال من الترانيم التي تقوي الشهوة وتثير الحزن والأسى، وتذهب الحياء والوقار، وتحرك في نفس الإنسان غرائزه الحيوانية.

إن اللحن التربوي هو الذي يزيد النفس إحساسا بوجودها، وإدراك الكون مهابة وإجلال، يعمل على تهذيب الغرائز. كما ينبغي أن يكون اللحن مناسبا لعمر الصبي وأن نتدرج في الألحان حتى نصل إلى المرحلة التي ندرك أن الغايات منه قد تحققت. ويكون البدء باللحن الرقيق الخفيف المرهف الذي يساعد الطفل على تخيل صور الجمال ثم المعتدل الذي يستطيع معه الصبي على والقتال كألحان الهيعة (الحرب) والطبول التي تملأ النفس عزّة وحماسا واندفاعا.

ثانيا: الكلام أما ما يخص القول الشعري فنحن نعلم أن أفلاطون توعد الشعراء بالطرد من مدينته: "غير أن علينا أن ننبئه كذلك بأن أمثاله لا يسمح بوجودهم في دولتنا، إذ أن القانون يحظر ذلك.وهكذا سنرحله..إلى دولة أخرى"(٢). والغرض من

---

(١) المصدر والمكان نفسه.

(٢) أفلاطون، الجمهورية، ص ١١٨.

طرد الشعراء أن أغلب كلامهم في الغزل والأساطير الذي يعمل على تدمير نفوس الصبيان، فالأساطير تحكي قصص تزرع الرعب والخوف لما تقدمه من تصوير رهيب للوحوش، ولما تنقله من غرائب الموجودات التي تعكس الحقائق. أما الغزل عند ابن رشد فهو طامة وأن حالة الضيّاع في المدن الإسلامية إنما أساسها انتشار شعر الغزل الذي ولّد في النفوس الركون إلى الشهوة والملذات وقد عبر عنها ابن رشد في كتاب الشعر: "إن كثير أشعار العرب إنّما هي كما يقول أبو نصر في النهم الكريه، وذلك أن النوع الذي يسمونه النسيب إنما هو حث على الفسوق"(١). لكن ابن رشد لا يرفض وجود الشعراء بل رأى أن الشعر ضروري في عملية التربية لكن شريطة أن يخضع للرقابة والوصاية، ومن ذلك أن السلطة ينبغي أن تقصي في عملية التربية أشعار العرب خاصة أشعار الغزل والمرثيات. وعلى الفيلسوف أن يختار من أشعار العرب ما يناسب فلسفة المدينة كان يختار شعر الحماسة لتكوين الحراس والحفظة، وشعر الحكمة لتكوين الفلاسفة، العلة في رفض أشعار العرب عند ابن رشد يعود إلى ظاهرة الغلو الكاذب: "الغلو الكاذب..موجود في أشعار العرب ولست تجد في الكتاب العزيز منه شيئا(٢)".

ثالثا: الإيقاع، إن الموسيقى هي مجموعة الإيقاعات التي تصدرها مجموعة الآلات

الموسيقية، ومعلوم أن كل آلة إلى ولها إيقاع مختلف فمنها من يعمق الشعور بالحزن والأسى، ومنها من يجعل النفس تميل إلى الخبل، ومنها ما يبعث على الفرح والسرور حتى حد المجون والخروج على الأخلاق. وعليه ركز ابن رشد على ضرورة أن يكون الإيقاع الموسيقي مرتبطا بالغاية الكبرى المتمثلة في ترقية الإنسان إلى الكمال المنشود.

---

(١) ابن رشد، تلخيص الشعر، تحقيق د. محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧١، ص ٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٩.

إن الإيقاع المنشود هو الذي يقود النفس إلى اكتشاف الجميل ونبذ القبيح، وإدراك المعاني من غير ألفاظ، وتحويل الإيقاع إلى رموز عندها نكون قد ألهمنا الصبي كيفية توظيف مخيّلته والقدرة على فهم ما وراء المحسوس.

لقد أضاف ابن رشد جملة من آراء أرسطو في الموسيقى خاصة ما يتعلق بالفائدة من السماع الموسيقي، ومن المعلوم أن أرسطو بجّل الموسيقى أكثر من أفلاطون وكتب عنها في عدة مواضع أهمها كتابه السياسة ورسالة إلى نيقاماخوس. كما لم تغب الرؤية الفقهية التي تجعل من السماع الموسيقي موضوعا في المعنى الذي يحمله اللفظ. فإذا كان اللفظ يخالف مقاصد الشريعة الإسلامية حُرم اللفظ واللحن معا، وإن لم يكن كذلك لم يكن هناك حرج من سماعه واعتماده كأسلوب في التربية. ولقد جعلت الصوفية من السماع الموسيقي وممارسته في حلقات الشطح أصلا من أصول الريادة الروحية. فالجذب لا يحصل إلا به، ولا يصل المريد إلى السعادة إلا من خلاله حتى أصبحت الموسيقى عند بعض الطرق الصوفية هي الغاية.

ويلاحظ في وقتنا المعاصر أن ما يسمى بالحركة الإسلامية تستعمل في أساليب تربيتها الموسيقى من خلال بروز ظاهرة الأناشيد الإسلامية.

إن تركيز ابن رشد على الموسيقى ليس من باب أن المعلم الأول حث عليها، بل يعود إلى كون المدن الإسلامية المعاصرة لابن رشد أسرفت في الموسيقى حتى فقدت هذه الأخيرة الغاية التي وجدت من أجلها. والموسيقى المنتشرة في بلاد الأندلس كانت كما تصفها كتب التاريخ مركب المجون، وقبلة الفساق، وعلة تدهور الأخلاق.وانتشرت الإيقاعات الإباحية التي تعتمد على إثارة الجسد أكثر من تهذيب النفس، وأصبحت بفعل انتشار دور الموسيقى السياسات في خطر لما لوحظ من تسلط المغنيات والجواري، وتدبيرهن أمور الحكم والرياسة.ولقد أكد التاريخ مخاوف كل من الفارابي وابن رشد حين ربطا سقوط المدن بانتشار موسيقى المجون.

## ١-٢- التربية الرياضية [ البدنية ]

إن مكانة الجسد في الإنسان لا تقل أهمية عن مكانة النفس، ومن ثمة وجب تهذيب الجسد وترويضه عن الطريق الرياضة البدنية.وكمال النفس في كمال الجسد لأن الرياضة تهتم بالكمال العضلي والغذاء: "ولهذه كانت الرياضة و الغذاء المقدرين على هذا النحو من التقدير لا يكسبان الجسم الصحة فحسب، بل تكسبان النفس أيضا الفضيلة التي أعدت من أجلها"(١).

والمدينة الفاضلة كمشروع مستقبلي يتطلب من الفيلسوف أن يعمد إلى تهيئة طبقة الحراس والحفظة إعدادا يليق بدورهم الاجتماعي. ونحن نعلم أن الحافظ يمثل في المدينة المجموع والفلاسفة النخبة ومن هنا كان لزاما أن تكون التربية الرياضية أولى المكتسبات التي ينبغي أن يكتسبها المواطن المستقبلي بعد الموسيقى.

والرياضة هي فن تكوين الجسد، أو هي فلسفة كمال الأجساد، ذلك أن الجسد لا يبلغ كماله إلا إذا كان صاحبه رياضيا. والحافظ يشترط فيه قوة العضلات لكي يكون قادرا على تحمل المشاق والصّعاب، كما أن اكتساب بعض الصفات النفسية كالصبر لا يكون إلا من خلال التدريبات الرياضية.

ومجال التربية الرياضية مفتوح على كل ما من شأنه أن يخدم مصلحة المدينة، من ركوب الخيل، والمصارعة، والسباحة، والرمي ....

فمن وجد له ميل نحو الفنون الرياضية شريطة أن يوافق هواه جسده من حيث الكمال العضلي كان لا بد أن يُسيّر إلى وظيفة الحراسة، أما من لم يكن في طبعه ميل إلى الحراسة فحري به أن يتعلم الرياضة حتى تساعده على إتقان الحرفة، فالحدادة والنجارة والنشارة والزراعة كلها مهن تتطلب من صاحبها قدرا من التربية البدنية.

---

(١) الضروري في السياسة، ص ٩٧.

والغاية من الرياضة تتجلى بالخصوص في فضيلة الشجاعة: "فهي مع كونها تكسب الجسم الصحة فإنّها كذلك تحرك الجزء الغضبي (= الشجاعة) من أجزاء النفس وتجعله أقوي مما كان عليه"(١).

وإذا كانت التربية الموسيقية كما لاحظنا سابقا تضبطها جملة من الشروط فإن الرياضة كذلك مضبوطة بجملة من الضوابط وهي على النحو التالي:

أولا: أن تكون الرياضة والموسيقى متقابلتين تقابل تكامل في جزئي النفس: فالجزء الغضبي مجاله الرياضة ويكون نافعا عند التعامل مع الغرباء لاعتماده على استعمال الشدة، والجزء العقلي مجاله الموسيقى ونفعه يكمن في صفة الانشراح والمودة مع سكان المدينة، وعند امتزاجهما تحصل الفضيلة التي هي قوام الحفظة"(٢).

ثانيا: أن الرياضة النافعة هي التي تتجه إلى البساطة والاعتدال.

ثالثا: أن تكون الفنون الرياضية أقرب وأنسب إلى الحرب.

رابعا: أن يرتبط التدريب الرياضي بحمية غذائية، فإن سكان المدينة من صفاتهم الخلقية عدم الإسراف والبذخ في الطعام، وأن يقتصروا على ما يقوى الجسم من الطعام.

ومن جهة أخرى أن يتعودوا على الغذاء المعتاد الذي لا يندر كاللحم المشوي أو الثريد المطبوخ في الماء والزيت، وأن لا يشربوا ما من شأنه أن يذهب بالفضيلة.

والاعتدال في الغذاء له بعد آخر يتمثل في ترويض الحافظ على الغذاء البسيط لأنّه لو اعتاد على الغذاء الفاخر زمنا ثم افتقده وصار إلى من هو دونه فإن حاله تنقلب إلى أمرين:

---

(١) المصدر والمكان نفسه.

(٢) المصدر السابق، ص٩٨.

١-ظهور الأمراض الشديدة والتي من حيث المبدأ ينبغي أن لا تكون في المدينة الفاضلة نتيجة منهج التربية المنتهج. وإذا تفشت الأمراض دعت الضرورة إلى وجود الأطباء مع العلم أن كل من أفلاطون وابن رشد يرفضان وجود الأطباء في المدينة والقضاة.

٢-انقلاب حال الحراس من حيث الولاء للمدينة، إذ يكثر فيهم الطمع والرغبة في المكسب وجمع الأرزاق حتى يستطيعوا جلب أنواع الغذاء الذي تعودوه.

والخلاصة التي نستنتجها أن حال الرياضة كحال الموسيقى ينبغي أن تخضع لمنهج التوسط والاعتدال: "وبالجملة فحالهم في الطعام والرياضة كحالهم في الموسيقى، أعني أنهم إنما يتناولون هذه الأنواع البسيطة فقط، وذلك لأن الموسيقى المركبة تولد في النفس الشرور، بينما الرياضة المركبة تولد العلل في الجسم والنفس معا"(١).

## ١-٣- مضادات تربية الصبيان

إن عملية التربية لا تخلو من مخاطر تنجم إما على مستوى المنهج أو على مستوى المضمون التربوي ولا يظهر خطرها إلا في عمر الشباب والكهولة، ويكون من الصّعب معالجتها. وعليه ينبغي على الفيلسوف أن يكشف مضادات تربية الصغار قبل تخطيهم مرحلة الصغر. ولقد حاول ابن رشد أن ينبه القائم بأمر التربية والتعليم إلى ضرورة إدراك الأخطار المحدقة بعملية التربية من خلال تصورات كل من أفلاطون وأرسطو والشريعة الإسلامية، وعليه أمكننا البحث أن نستقرأ جملة المضادات ونرتبها على المنوال التالي:

## ١-٤- التعليم بالمحاكاة القبيحة

يعتقد المربي أن متخيلة الطفل تدرك العبر والغايات من خلال منهج المحاكاة، والذي غالبا ما يستند على القصص الكاذبة التي وإن أدت غرضا آنيا فإنّها حتما ستؤدي دورا عكسيا مستقبلا.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٩٩.

وانطلق ابن رشد من رأي أفلاطون القائل: "إن أكثر الأشياء ضرارا على الولدان هو أن يسمعوا وهم صغارا، قصصا كاذبة، لأنهم في هذا العمر يكونون أكثر استعدادا لأن يقبلوا بيسر ما يراد أن يقبلوه من صور"(١).

إن القصص الكاذبة وخاصة الساقطة والمنحلة منها تعمل عملها في تنبيت(٢) رجل المستقبل وبالتالي غرس داخل بنية المدينة من يكون معول هدم لها.

وخطورة المحاكاة تكمن في كون كل محاكاة تحتمل الصدق والكذب، فالأمر الكاذب يتمثل في تمثيل الشيء بغير صورته الحقيقية، ومثال ذلك أن يُمَثل الإنسان الذي هو أشرف المخلوقات بثور: "فالكاذب كأن تمثل صورة إنسان بصورة ثور، ولا ينبغي أن يحصل هذا أصلا في هذه المدينة"(٣).

إن التمثيل يجب أن يكون بالترب الذي هو من جنسه ونوعه ولا يمكن أن يحصل ذلك إلا من خلال الشرطين التالين: الأول أن نعتمد على التمثيل القريب ونبتعد عن البعيد، والثاني أن ندرك نظائر الأشياء. وعلى سبيل المثال أن يمثل رئيس المدينة بالقلب قياسا وترتيب الأعضاء في الجسد، وتمثيل المبادئ الأولى الطبيعية بنظائرها من القوى والصنائع الإرادية"(٤).

ولا بد من توخي الحذر في تمثيل السعادة بغير الخيرات والغايات الفاضلة، ولا يجوز أن نمثلها بنظائر مادية محسوسة. بل أن أفلاطون اشترط في عملية المحاكاة أن يُمثّل كل موجود بنظيره الذي يحدده الجنس والنوع والبعد والقرب: "وفي الجملة يُمثل لمراتب الوجود في الموجودات بنظائرها من مراتب المكان والزّمان"(٥).

---

(١) الضروري في السياسة، ص٨٨.
(٢) أي جعله مستقبلا ينتمي إلى فئة النوابت.
(٣) الضروري في السياسة، ص٨٧.
(٤) المصدر السابق، ص ٨٧.
(٥) المصدر والمكان نفسه.

## ١-٥- التعليم بالمحسوس المادي.

ومن مضادات التعليم والتربية الفاضلة لجوء المربي إلى تمثيل الفضائل المطلوبة بالأمور الحسية أو ما هو أدنى منها في المرتبة. لأن الفضيلة إذا مُثلت كونها مجرد فعل حسي تحولت إلى رذيلة، فالشجاعة كفضيلة لا ينبغي أن تُمثل بفعل تجاوز الموت.

والغاية من تجاوز التمثيل الحسي جعل الصبي يدرك منذ نعومة أظافره أن الخير غير مرتبط بما هو حسي كالملبس والمنكوح والمأكل. يقول ابن رشد على لسان أفلاطون: "لأن الواحد منهم إذا تخيل هذه الأشياء [الفضائل = محسوسات] فقد لا يستميت في الحرب، بل يفضل أن يُغلب ويُستعبد.فمثل هذه الحكايات أولى أن تتجنب في هذه الأمور العلمية"(١).

## ١-٦- التعليم بالتمثيل الكلامي

انفرد ابن رشد بتحليل ظاهرة تمثيل القبيح في الثقافة الإسلامية المعاصرة له، التي أصبحت تجري مجرى العادة في الفكر الإسلامي، وهي عادة نشأت بفعل علم الكلام.

إن هذا التمثيل القبيح خطر على الاعتقاد والسلوك معا، ويعتبر بمثابة مضاد خطير للتربية الفاضلة. فلقد دأب المجتمع الإسلامي على غرس فكرة أن الخير والشر من الله وخطر هذا التمثيل يكمن في إدراك أن الله يفعل الشر باعتبار أن الخير والشر طبيعة واحدة مادمت تصدر من ذات واحدة. وعليه فإن التمثيل الذي يراه ابن رشد صائبا هو أن نمثل الله بالخير فقط. وأن نعلم الصغار أن الشّر من فعل الإنسان وليس الله.

والتمثيل الأخطر عند ابن رشد هو أن ننسب الخير لله والشر إلى إبليس أو الشيطان، لأن الصغير إن اعتقد ذلك تملكه خوف شديد من إبليس يصيّره بعد ذلك جبانا يخشى المكان: ".. وذلك كأن نحدث الصبي، منذ نعومة أظافره عن شياطين

---

(١) المصدر نفسه، ص٩٠.

يهمون الجدران على الناس، ويفتحون الأقفال، وأنهم يرون ولا يرون، ويحضرون حيث أرادوا، ويتشكلون بالشكل الذي يريدون، فإنّه يشك في أن يكون من حافظ جيد، لأن مثل هذه الأشياء تغرس في قلوب الصبيان الخوف والجبن فيرسخ في نفوسهم"(١).

**١-٧ الخروج عن الوسط.**

ويجب أن نُحكم نظرية الوسط الذهبي في ترسيخ الفضائل، لأن عدم الالتزام بها يؤدي حتما إلى جعل الفضيلة المكتسبة غير متطابقة مع ما يجب أن يكون عليه الحافظ، كأن تصير الشجاعة تهورا أو جبنا. والعفة تزمتا أو انحلالا، والحكمة غرورا أو جهلا، والعدالة جورا أو ضعفا.

## ٢-١ إهمال قانون أن الناس معادن

ومن مخاطر العملية التربوية عدم الالتزام بقاعدة أن الناس معادن وينبغي أن نضع كل صبي في الموضع الذي يتناسب مع معدنه، فإن حدث العكس بفعل العاطفة أو الجهل نشأ خلل في مراتب الرجال داخل المدينة، فقد يتولى الرياسة من هو ليس صالحا لها بالطبع، أو أن يتولى مهمة الحراسة من معدنه يقوده إلى مهمات الفلاحة أو الزراعة.

## ٢- مرحلة الأحداث [ الأنا الاجتماعي ]

عندما يبلغ الصبيان مرحلة الغلمنة ويصيروا أحداثا وفق ما يسميه علم النفس التربوي المعاصر مرحلة اكتساب الأنا الاجتماعي، والذي تبرز فيه معالم التمدن الاجتماعي، ويُعرف من خلال امتلاك اللغة والعادات واكتساب الهيئات الثقافية المميزة للجماعة، يتخذ المنهج التربوي منحى الإقناع بالبرهان بدل الخطابة، وبالتالي

---

(١) المصدر السابق، ص ٨٩.

فإن ابن رشد يرى في برنامجه التربوي أن تكون المرحلة الثانية مسطرة على الوتيرة التالية:

## ١-١- التربية المنطقية

يجب منذ البداية التنبيه كون أن ابن رشد قد خالف أفلاطون، لكون الأخير أكد على الرياضيات كمرحلة فاصلة بين مرحلة التربية الموسيقية والرياضية والتربية الفلسفية اللاحقة. وابن رشد خالف أفلاطون لسببين حسب ما جاء في مختصره الضروري في السياسة: السبب الأول يعود إلى عدم معرفة أفلاطون بعلم المنطق لكونه علما وضعه أرسطو ولم يكن معروفا زمن ابن رشد: "فهذا ما يراه أفلاطون فيما يبدأ به في التعليم. وإنما رأى هذا الرأي لأن صناعة المنطق في أيامه لم تكن قد وجدت"(١). والسبب الثاني كون المنطق هو المعيار الذي تعرف به قوة العقل وصوابه، و الآلة التي تعصم الفكر من الوقوع في الخطأ. كما أن الرياضيات ذاتها إنّما تكون به ولا يكون بها من حيث الصناعة، ولو قال قائل إن علم التعاليم لا يحتاج إلى منطق فإن ابن رشد يرى أن تعلّمه قبل علم التعاليم يفيد المتلقي باعتبار أن مداركه العقلية تكون أكثر عمق وتركيزه أشد: ".. ولم يكن علم المنطق ضروريا لتحصيل علم التعاليم، فتعلمه بعد تحصيله، يكون بلا ريب، على جهة الأفضل"(٢).

ونحن نعلم اليوم أن النظرية اللوجستكية أرجعت أصل الرياضيات إلى المنطق مما يجعل رؤية ابن رشد صائبة. ومن جهة أخرى ندرك أنه لم يكن شارحا وملخصا لما قاله أفلاطون، بل كان في مقام التنظير والاجتهاد، وأنه بالفعل كان يفكر في مشروع مدينة أندلسية جديدة تحاكي في نظامها مدينة الفلاسفة ومدينة الخلفاء الراشدين.

---

(١) الضروري في السياسة ، ص ١٦١.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٢.

## ١-٢- تعليم الرياضيات

لقد ركز عليها أفلاطون في عملية التعلم واعتبرها المرحلة الفاصلة بين المعرفة الحسية الظنية والمعرفة العقلية اليقينية. واشترط لمن يرغب الدخول لأكاديميته أن يكون متقنا للرياضيات. وابن رشد وإن أعطى الأسبقية للمنطق على الرياضيات إلا أن هذه الأخيرة ضرورية فعن طريقها يمكن اختبار المستوى العقلي للأطفال بغية ترقية من أجادها إلى المرحلة العالية من التربية والتعليم، وأما من فشل فيوجه إلى امتلاك حرفة واحدة من الحرف المسموح بها في نظام المدينة الفاضلة.

والغاية من تعليم الرياضيات تتمثل أساسا في التصورات التالية:

١- أن المتعلم لا يمكن أن يدرس العلوم النظرية أي الفلسفية إلا إذا تعلم جنسا قريبا منها، وليس هناك أقرب إلى جنس الفلسفة من الرياضيات لكونهما يشتركان في عملية التجريد والبرهان والتصور: "وعلم العدد أيسرها وأكثره اشتراكا مع جميع الأشياء، ويتبعه في ذلك علم الهندسة ثم علم الهيئة فالموسيقى"(١).

٢- أن طبيعة الرياضيات من حيث كونها علم لا يكدر موضوعاته شوائب المادة يصلح لتهيئة عقول النشء الجديد.

٣- أن التمرن على علوم التعاليم الأربعة يُمكن الحافظ (الحارس) من اكتساب فائدة عملية تخص تنظيم الجند وترتيب الرجال، وتنظيم صفوفهم في الحرب.كما تمكنهم من وضع الخطط والخرائط. وإذا كان الأمر متعلقاً بالبحر فإنها تمكنهم من معرفة المواقيت والشهور واتجاه الرياح(٢) ...

---

(١) الضروري في السياسة، ص١٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦١.

٤- إن علم الهندسة ينفع المتمرن في العلم التطبيقي، فلا تكفي الفروض النظرية والتصورات التجريدية لمعرفة الأشكال الهندسية بل يتطلب الأمر أن تتطابق الصور المجردة مع المادة المشخصة. وخاصة أن المدينة تحتاج إلى الصنائع التي بها قوام العمران البشري، فالمثلث لا يدرك إلا من خلال تطابق التصور مع قطعة من خشب أو حديد وتلك هي الفائدة والغاية من التمرن. ومن جهة أخرى تمكن المواطن من تحويل الأفكار إلى أشياء ملموسة، عندئذ تصبح التجارة والحدادة والنجارة والنشارة..فنونا قائمة بذاتها لكونها نتاج النظر والعمل معا، كما أنها تخرج من منطق العادة والتجربة إلى منطق العلم.

## ١-٣-علم المناظر

هو الذي يصطلح عليه بالفيزياء ويأتي بعد تعلم الرياضيات لكونه علما مجانبا للرياضيات في الفائدة العملية خاصة في الصنائع التي اشتهرت زمن ابن رشد.

## ١-٤- علم الاوزان

لم يُفَصِّله ابن رشد تفصيلا وإنّما ذكره باقتضاب، ولعله يريد من وراء ذكره ضرورة إدخاله في المشروع التربوي لما له من فائدة كبيرة في الحياة العملية، ويمكن أن نشير إلى بعض فروعه:

أ-علم العروض والقوافي بما أن الموسيقى تحتل مكانة كبرى في المشروع .

الرشدي فإنها تحتاج إلى الشّعر. والشعر محكوم بعلم العروض والقوافي التي تعد ميزانه ومعياره، ولا يصح الشعر إلا إذا كان النظم موزونا، لأن الشعر الموزون يساعد على صناعة الموسيقى واختيار الإيقاعات والألحان.

ب-علم الوزن ويقصد به علم المكيال الذي يخص علم التجارة.والفقه الإسلامي يشدد في مسألة الوزن لأن حياة الإنسان لا تستقيم من حيث العيش إلا باتباع أسلوب المقايضة أو المبايعة. إن العدل في التجارة يكمن في الصدق والجودة واحترام الوزن وعدم تطفيفه. لذلك ينبغي أن يكون الحافظ عالما بالأوزان والمكاييل حتى يستطيع أن يقضي على أسباب النزاع والخصام الحاصل من المبادلات التجارية.

## ا-٥- علم الموسيقى

لقد كنا في الطور الأول من التعليم قد أدرجنا أن التربية الموسيقية هي أول ما يبدأ به في تربية الطفل وبالتالي كانت الموسيقى وسيلة من وسائل التربية أما في المرحلة الثانية تغدو الموسيقى علما ينبغي على الحافظ أن يتعلمه، وأن ينتقل من وضع السماع إلى مقام العلم، والعلة في ذلك حتى نتمكن مستقبلا من تكوين المختص بالألحان الموسيقية التي تلائم طبيعة المدينة الفاضلة: "أما الموسيقى العملية فهي ضرورية لهم لأنهم هم الذين يضعونها في المدينة"(١). وتكون الموسيقى هي مفتاح تعلم الفلسفة والتأشيرة التي تمنح متعلّمها الحق في النظر الفلسفي الذي هو في الأصل للخاصة.

ويكون ابن رشد بهذا الترتيب قد أنهى منظومته التربوية الخاصة بمرحلة الأحداث التي تبدأ عند سن ١٥ أو ١٦ لتنتهي في سن العشرين والذي نعيد ترتيبه على النحو التالي:

- استمرار التربية البدنية: ركوب الخيل، السباحة، الرماية، فنون القتال...

- المنطق - صناعة نظرية تعصم العقل

---

(١) الضروري في السياسة، ص ١٦١.

-الحساب ــ أقرب فرع رياضي إلى عالم المحسوسات (العد بالأصابع أو الحجارة).

- الهندسة ـ التجريد والافتراض.

- الفلك ــ قمة التجريد الرياضي

-الموسيقى ـ قمة الإدراك (المعنى، المبنى، الكون..)

فمن أهلته مدركاته العقلية لتعلم جميع العلوم المبرمجة وجب إجازته عن طريق ترقيته إلى المرحلة العليا من التعليم. وأما من قصرت عن ذلك مواهبه وجه إلى ما هو مُيسر له خلقا وعقلا وجسدا لأن هاته المرحلة من التعليم نعرف من خلالها من يصلح للجند وحراسة المدينة ومن لا يصلح أصلا إلا للعمل اليدوي. وعندها لا تبقى من طبقة المتمرنين إلا تلك النخبة التي تحمل المعدن الذهبي والتي ستكون عقل المدينة المدبر، وتكون الرياسة فيهم حين يبلغون سن الخمسين.

## ٣- مرحلة الرشد [ الأنا الميتافزيائي ]

تحظى الطبقة المتميزة من الحفظة التي استطاعت أن تتلقى العلوم وتحيط بها عندما تبلغ سن العشرين - الذي يعكس دخولهم سن الرشد وتبلور الأنا الميتافزيائي بلغة علم النفس المعاصر - ببرنامج للتربية متميز عن ما سبق، مع ضرورة استمرار تعلم بعض العلوم المساعدة على النظر الفلسفي.

إن مرحلة الرشد يتربى فيها الحافظ على المساءلة الفلسفية والنظر، وبالتالي يجب أن تكون الفلسفة هي آخر العلوم المبرمجة في المشروع التربوي: "..وهذا أيضا بعد أن يبتعدوا عن تلك الهيئات التي فرضناها لهم، وارتاضوا بركوب الخيل إلى أن يبلغوا العشرين، فإذا بلغوها انتقلوا إلى النظر في الفلسفة على هذا الترتيب"(١).

---

(١) الضروري في السياسة، ص ١٦٢.

ولعل السؤال الذي يفرض نفسه: لما تكون الفلسفة آخر ما يتعلمه الحافظ؟؟

## ١-١- موانع تعليم الفلسفة للأحداث.

يتفق فيلسوف قرطبة مع أفلاطون في مسألة جعل تعليم الفلسفة آخر مراتب التربية الفاضلة، والعلّة عندهما تكمن في جملة من القواعد الإبستيمي التي تتعلق بنظرية التربية، وهي على النحو التالي:

١- أن طبيعة النظر الفلسفي لا تتناسب وقدرات الصبي أو الغلام لكون عقله يكون أكثر استعدادا للمحسوسات منه إلى المعقولات، ويكون إدراكه متجها نحو التشخيص أكثر منه إلى التجريد، ومعرفة الجزئي أكثر من الكلي، والقريب بدل البعيد. فإذا تعلم الصغار الفلسفة دون سن الرشد فإنّه لا يأمن عليهم النزق الفلسفي، وانحراف العقل. فيسيرون في مسالك أهل السفسطة، ويمتهنون الجدل والخطابة التي هي آفة المدينة الأندلسية.

٢- أن تعليم الفلسفة يتناقض مع مضامين التعليم بالمحاكاة، إذ تغلب على المتفلسف قبل أوانه مظاهر الرفض والشك في ما يربى عليه من محاكيات وأقوال خطابية.لأنه لا يستقيم الخطاب الفلسفي والخطاب الشعري، ولا الأقوال الجدلية مع البرهانية. والمثال على ذلك أن حال من تعلم الفلسفة كحال من تربى في كنف أبوين غير شرعيين له، فلما اشتد عوده وتوقد ذهنه أُخبر أنه لقيط.

٣- فإن حال من تعلم الفلسفة قبل أوانها ينقلب على عكس ما كانت عليه ويحدث له تصدع في الذات يؤدي إلى ما يلي:

أ- يفقد الثقة في المكتسبات العلمية التي أحرزها عن طريق الأقاويل الشعرية والخطابية. وتفقد عنده مصداقيتها ليس لكونه قد أدرك حقيقتها بل لكونه تفلسف قبل سن التفلسف أصلا.

ب- ينخرط في سلك حركة الجدل العقيم، ويصبح همه الانتصار لآناه لا للحقيقة. وعليه فإنّ الحيطة والحرص على الحفظة داخل المدينة تُوجب عدم تعليم الفلسفة إلا بعد أن يكون المتعلم قد قطع شوطا، وامتلك عقلا فاحصا وناقدا لأن الأصل في المدينة هو الأخذ بمبدأ الاستحقاق والانتخاب العقلي فليس كل الحفظة بميسرين لتعلم الفلسفة.

٤- أن تقديم تدريس الفلسفة عن سنها المناسب يؤدي إلى مخاطر تهدد المدينة في معتقداتها وأفكارها الفاضلة.ذلك أن النوابت في المدينة إنّما ينشأون نتيجة دراسة الفلسفة في غير وقتها وبالمقدار غير المناسب للتفلسف، ويرى ابن رشد أن ظاهرة الجدل والمهاترة الكلامية التي تطفح بها ساحة المدن الإسلامية هي نتيجة حتمية لعدم انتحال المنهج القويم في دراسة الفلسفة: "وأنت ترى أن هذا كثيرا ما يعرض للمتفلسفة في هذه المدن، وهو أشد الأمور ضررا عليها"(١).

## ٢-٢- مراحل تعلم الفلسفة

يرى ابن رشد أن تعليم الفلسفة يستمر ستة عشر سنة من عمر الحفظة بحيث يقسم على وتيرتين هما على النّحو التالي:

١- ٢٠ سنة إلى ٣٠ سنة: يكون المتعلم قد اطلع على جميع أجزاء الفلسفة سواء النظرية أو العملية عن طريق آلية القراءة والفهم: "وبعد ذلك يواصلون النظر في الفلسفة قراءة وفهما، حتى إذا بلغوا سن الثلاثين يكون قد نظروا في جميع أجزائها"(٢). فالفلسفة ليست حفظا أو تكرارا بل هي تمعن وفهم، قراءة وتأويل.

---

(١) الضروري في السياسة، ص ١٦٣.
(٢) الضروري في السياسة، ص ١٦٣.

وتدريس الفلسفة وضع له الفارابي خطة في كتابه مفتاح العلوم، ونفس المنحى نجده عند ابن رشد من خلال كتابه فصل المقال ويقوم على أساس التدرج.

٢- ٣٠ سنة و٣٥ سنة: يمثل طور المراجعة وإعادة النظر في ما تم تحصيله من العلوم النظرية، ذلك أن التحصيل لا يخلو من المثالب، وأن النظر لا يسلم من النقائص، كما أن القراءة لا تأمن الحيدة، وأن التأويل سبيل الخطأ وعدم اليقين. وعليه فإن إعادة صياغة المعارف من جديد لا يتم إلا في مرحلة المراجعة.

وبالتالي يكون هؤلاء الحفظة في سن الخامسة والثلاثين قد بلغوا نصف الكمال المطلوب، ويحق لهم باعتبارهم فئة مختارة أن يتولوا مهام قيادة الجند وينجر عن هذا الاستحقاق غايات جليلة تتمثل في قيادة الجيش قيادة علمية.

ويظل الحفظة قادة للجيش إلى سن الخمسين حيث يعتزلون زمنها قيادة الجيش ليتولى أحدهم رياسة المدينة، ويكون قد اكتسب ما بين سن ٣٥ و٥٠ مهارات وصفات مكتسبة جديدة من خلال التجارب العملية تؤهله لرياسة فاضلة: "فإذا ما بلغوا الخمسين استحقوا الرياسة على المدينة وحَكموها"(١). وحكمهم المدينة كان بفعل الاستحقاق الناجم عن التحصيل التربوي المتميّز، الذي دأبوا عليه من الصغر، فجعل منهم رجالا يتجهون بأعمالهم وأفعالهم نحو أفضل الغايات وأسمى الكمالات من خلال تدبير شؤون مدينتهم.

ولا تنتهي النظرية التربوية عند ابن رشد عند حد سن الخامسة والثلاثين، بل هناك طور رابع من التربية العالية لكنها غير ملزمة لكل الحفظة بل هي من شأن طبقة الحكام، فبعد أن ينال التعب من الحاكم بفعل السنين يجب أن يركنوا للراحة والاستجمام، لتبدأ مرحلة التربية العالية.

---

(١) المصدر والمكان نفسه.

### ٣- مرحلة الشيخوخة [ الأنا المثالي ]

عندما تفعل السنون فعلتها في الفئة الذهبية التي استطاعت أن تتخطى جميع المراتب العلمية، وحكمت الجيش والمدينة وجب تركهم يعيشون عالمهم الخاص في جزيرة السعادة كما قال أفلاطون.

ويكون التعلم في هذه المرحلة المتأخرة من العمر بدون معلم إذ يصبح الفيلسوف هو الذات والموضوع، هو المعلم والمتعلم، تجتمع في ذاته كل أجزاء المدينة ويكتمل الكون في مخيلته. عندها يمكن القول أنّه أدرك الحقيقة وأصاب الخير الأسمى ومنه يصبح موضوع تأمله هو الخير الأسمى فقط حيث يوجد الكمال المطلق، ولقد وافق ابن رشد رأي أفلاطون في ضرورة انقطاع الفيلسوف لدراسة الخير لكونه هو موضوع الفلسفة الحقيقي لذا قال ابن رشد: "ولذلك أحسب أن أفلاطون كان يرى أن ينقطعوا حتى آخر حياتهم إلى النظر في ذلك الخير"(١). إن مرحلة التربية العالية هي مرحلة التجريد والتعالي عن كل ما هو واقعي، حيث يجد المتأمل نفسه أمام موضوعات تستوجب منه نوعا من النظر لم يألفه في شبابه أو كهولته.إنّه نظر يخترق صور المادة وأسبابها ينفذ إلى الحقيقة من غير أن تكدر نظرته الشوائب والأعراض.

إن التربية العالية تسعى إلى إبراز الأنا المثالي المرتبط بجواهر الأشياء والمتحد من حيث الفكر مع واجد الوجود، إنّها لحظة الإشراق التي تبدد الظاهر وتسكنه باطنه، وترى حقيقة الأشياء بخلاف ظلالها وأشباحها. إن التربية العالية هي مرحلة العودة إلى عالم النفس الحقيقي المهجور بفعل الخطيئة.

من خلال تتبع مراحل النظرية التربوية لابن رشد يمكن أن نستنتج الأمور التالية:

---

(١) الضروري في السياسة ، ص ١٦٣.

١- أن التربية فلسفة وطريقة في الوجود قبل أن تكون عرفا اجتماعيا تتحكم فيه العادات والتقاليد، وأن تلك الفلسفة تهدف إلى تربية النفس على الفضائل المُنجية. ومن جهة أخرى هي تأسيس لسلطة الأخلاق على السياسة والرياسة.

كما أن مشكلة انحراف المدن عن الفضيلة إنّما تعود إلى عدم الاهتمام بالتّربية القائمة على أسس الفلسفة، أما في حالة سيطرة التربية الاجتماعية فإن المجتمع سيعرف طبقة النوابت والأشرار ويصبح معنى السعادة والخير مرتبط بالأوهام كوهم المال والجاه، أو وهم المجد والكرامة.

٢- إن التربية المثالية متواصلة لا تنتهي بعمر وإنّما ينبغي أن ندفع الإنسان دوما إلى التعلم والتربية، فالإنسان الفاضل ينتقل من مرتبة إلى أخرى ناشدا الكمال والوصول إلى الخير. ولو افترضنا أنّه وصل إلى الكمال فإنّه سيبقى في نفسه شيء مما كان يتصوره ينقصه، فلقد ذُكر أن أفلاطون لما حضرته الوفاة بكى، فقيل له: أتخشى الموت. قال: لا ولكني بكيت لأني لم أرتق بأصحابي إلى ما كنت أريده"(١).

٣- لا يمكن للمدينة الفاضلة أن تقوم دون وجود برنامج تربوي، لأن المواطن الحقيقي هو الذي أُعد إعدادا تربويا يتوافق وإيديولوجية الدولة أو المدينة، لأن سلطتها تبنى على أساس فكرة الولاء والانتماء، أو ما يسميه لاحقا جون جاك روسو بذوبان الفرد في الدولة.

٤- أن التربية في المشروع الرشدي تخص الذكور والإناث على السواء، وأن معيار التّفوق تحدده المواهب والقدرات لا المراتب والبيوتات كما هو الشأن في

---

(١) ذكر الحادثة الغبريني في كتابه عنوان الدراية على لسان أبي علي الأصولي لما حضرته الوفاة (راجع ص ٩٠).

المدن الإسلامية. إن ابن رشد لم يستفد من درس الغزالي ولا ابن باجة عندما أنكر تربية العامة تربية عقلية، وبالتالي لم يدرك أن سبب فساد المدن الفاضلة يرجع أساسا لمنع تعليم العامة وتنويرها، وهذا ما أراد أ.محمد المصباحي أن يؤكده في قوله التالي: "إننا نعتقد أن ابن رشد لم يستفد لا من درس الفارابي ولا من درس الغزالي نفسه، واستمر في تفضيله العقل النظري، وعدم اهتمامه بترقية الجمهور وتربيته التربية التي تؤهله لحماية العلم والعمل، فضاع العلم والعمل معا"(١).

(١) محمد المصباحي، (منزلة العقل العملي في فلسفة ابن رشد)أعمال ندوة ابن رشد، منشورات المجمع الثقافي، المجلد الأول، تونس، ١٩٩٩، ص٢٨٣.